فانه من الخطأ الفادح تصور وحدة وطنية دون خلافات في وجهات النظر ودون صراعات. المهم ان يكون الاتفاق على البرنامج السياسي المحدد وعلى تطبيقه متوفرا وقائما وفعالا .

ثانيا : قد يساعدنا تعريف الوحدة الوطنية كما بيناه آنفا في الاجابة الدقيقة على السؤال المطروح وهو : لماذا لم يحقق الفلسطينيون حتى الان وحدتهم الوطنية ؟ والاجابة الدقيقة على هذا السؤال ، بدورها ، تستهدف تحقيق أمرين : الاول ، انهاء حالة الاجتهادات والتبريرات (العقيمة في غالب الاحيان) حول اسباب تعثر الوحدة الوطنية ، تلك الاجتهادات والتبريرات التي برهنت التجربة العملية انها ساهمت في تعميق التعثر وليس ، كما هو مفروض ومنطقي ، ان تكون ، عاملا مساعدا في تخطي الازمة. الثاني ، ارساء قاعدة عملية شاملة ينطلق منها التوجه الوحدوي ، ولا يعود الى ما ورائها (طبعا اذا توفرت القناعات حولها كاملة) .

لماذا لم يحقق العمل الفلسطيني وحدة وطنية حتى الآن ؟ لان فصائل حركة المقاومة غير واعية لماهية الوحدة الوطنية المنشودة في هذه المرحلة وبالتالي هي خائفة منها ومن أحكامها وأيضا فهي عاجزة عن تغليب فهمها للفوائد المشتركة الممكنة من وحدة وطنية حقيقية (في مرحلة التحرر الوطني الديموقراطي) **وعلى فهمها لمصالحها الفئوية الخاصة ونتيجة لكل هذا لم تتبلور ارادة جماعية جادة بالوحدة الوطنية .** لهذا السبب ظلت قضية الوحدة الوطنية مرتعا للمزايدات ولاحكام المواسم وللمشاريع الفوقية غير القابلة للتنفيذ. ولعل جوهر العقدة يكمن في أن حركة المقاومة منذ انطلاقها (برغم تفاوت مشاربها ومنطلقاتها) لم تتسلح باطلالة جادة على التجربة الثورية في العالم وخاصة فيما يتعلق بموضوعة الجبهة الوطنية . وأكثر من ذلك ، فبرغم تجربتها الطويلة المكثفة احيانا والمليئة بالعبر والدروس ، فقد ظلت عاجزة عن استخلاص النتائج الموضوعية المؤدية الى فهم عميق لماهية الوحدة الوطنية المطلوبة ولحجمها يقضي على المخاوف ويغلب فهم الفوائد المشتركة الممكنة للمرحلة على فهم المصالح الخاصة والفئوية . ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة المنشودة لا يجيز ولا يستدعي اطلاقا مناورات الكواليس المعهودة بحثا عن مكسب خاص ولهثا وراء تسجيل موقف معين — ان الفهم الحقيقي لماهية الوحدة الوطنية ولدورها كأداة حاسمة في هذه المرحلة كفيل بأن يريح المنظمات من « عذاب » الكواليس وان يوفر وقتا لتحرك مفيد وايجابي .

قد نتساءل هنا حول امكانية وقدرة القوى والعلاقات القائمة فيما بينها ، في هذه المرحلة، على احداث عملية التغيير في ضوء التعريفين المحددين للوحدة الوطنية ولاسباب تعثرها. وقد نجيب انه في ظروف نضالنا القائمة لا بد من احداث التغيير وانه من الممكن احداثه باعادة نظر جذرية في قواعد وأساليب المسيرة . وقد يكون الجواب ان الامر مستحيل ولا بد من تغيير أكثر جذرية في كافة الاوضاع والقوى القائمة . غير اننا نترك الجواب النهائي في ثنايا التطورات القادمة . ان التجربة العملية تبقى المحك الاصيل الوحيد والحقل المتاح لصقل اجابة موضوعية وحاسمة .

اطلالة على المجالس الوطنية الفلسطينية :

نحاول في هذه الاطلالة متابعة القرارات الخاصة بالوحدة الوطنية وحيثياتها التي شهدتها المجالس السابقة ، بالطبع ، دون الخوض في التفاصيل والمشاكل التي كانت تنشأ حسب ظروف كل مرحلة . وسنعتمد في هذا الصدد على الوثائق الصادرة عن منظمة التحرير المتوفرة في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية . ومن حيث المنهج ، فان تقسيم الموضوع الى مرحلتين يبدو أمرا ضروريا : المرحلة الاولى تعني بالمجالس الوطنية الثلاثة الاولى التي عقدت في المواعيد التالية :